

فكاهات

بشر القاتل بالقتل

إذا ذُكرت مدينة لندن تبادر إلى ذهن السامع مدينة هي أم الدنيا ومجتمع زخارفها وغناها فلا يتصور فيها إلا السعادة وسعة العيش والرفاهة والترفيه. غير أن الواقع خلاف ذلك فبين تلك القصور الباذخة والغنى العظيم يرى الناظر أكواخاً حقيرة في أسوأ حالات الفقر المدقع يأوي إليها أشخاص يتضورون جوعاً ولا يرون بين قصور الأمراء ما يسدون به رفقهم ولا تصل إليهم يد الاحسان فيموتون كالزهرة التي تنبت على تربة صخرية وتلفحها الشمس المحرقة فتذبل وتيس ثم تبدد الريح ذراتها فتختفي كأنها لم تكن

وكان في بعض تلك الأكواخ الحقيرة امرأة على فراش من المهشم وهي في حالة الاحتضار وليس بقربها الا فتى جاث امام فراشها يسكب الدموع السخينة ويتنهد من كبدٍ حرى. وكانت ملاحح المرأة تدل على انها كانت من ابناء النعمة وقد خانها دهرها فهبطت من ذروة السعادة الى حضيض الشقاء. فلما شعرت بدنوا اجلها استدعت ولدها الفتى المذكور لتودعه الوداع الاخير وتزود منه القبلة الوالدية قبل ان تفارق هذا العالم في سفرها النهائي ولنسر في اذنيه بعض اخبار لم يطلع عليها قبلاً ولا تود ان يجدها. وكان في كلامها المتقطع تارةً والمتتابع طوراً ما يدل على رغبتها في استيعاب الكلام قبل ان يعاجلها الموت وكانت تقول لوقت لي يا حبيبي ادغار ابادل فيه واياك كلمات الوداع فلدي غير ذلك من الحديث المهم يجب ان ابغلك اياه فأصغ وافهم ما اقول. لم يوجدنا الدهر في بداءة حياتنا في

(١) معركة عن الانكليزية بquam نسيب افندي المشعلاني

الضياء

(٩١)

هذه الحالة الذليلة وكان والدك قبل ان اقترن بي يقطن داراً ضخمة في شارع الملكة ولديه من الثروة مبلغ يُحسد عليه فلما اقترنت به اضفت ثروتي الى ماله وصار بين يديه مبلغٌ كافي من المال فانشأ شركة تجارية كان يديرها بمعظم الخلق والتدبير فتضاعفت امواله واشتهر اسمه وطلبتة بعض المقاطعات ليكون نائباً عنها في مجلس الامة . وتعرف والدك في ذلك الوقت برجل من متمولي البلاد اسمه هربرت ديكنس — لا تنس هذا الاسم — وبعد ان توالت زيارات هذا الشقي لنا امتلك قلب والدك فأحبه واغراه ذاك حتى ادخله في شركته ولم يدرك انه قد ادخل الى صدره افعى تنهش لحمه وتمص دمه . وكان هربرت المذكور يظهر الامانة والوداد والاستقامة وهو يسعى في الخفاء لخرابنا وهدم بنيان سعادتنا تدفعه الى ذلك عوامل الخبث والحسد التي توجد غريزية في بعض الناس . ولا يسعني في هذا الوقت القصير ان اقص عليك تفاصيل اعماله الشريرة ولكن كان من نتائجها ان المرحوم والدك طرد من مجلس الامة مهاناً متهماً بافشاء اسرار المجلس ولولا مساعدة بعض المحاصنين له من اهل الخير لنفذ الحكم عليه بالاعدام ، ولم يقتنع هربرت بذلك فعمد الى تجارة والدك ولم يمض الوقت الطويل حتى اصبحت تلك الثروة الطائلة في خبر كان وعاد والدك المسكين من سعة عيشه الى مبيع املاكه ومقتنياته ولم يبق له سوى القصر الذي كنا نقطنه واستولت عليه عوامل الغم واليأس فكان يقضي اوقاته ساكناً صامتاً شاخصاً الى السماء متأملاً في احكامها . وكان اذا دفعه عامل الغضب الى الانتقام من هربرت يعود فيقول كلا فالعقاب لله وحاش لي ان اعارضه فيه

وفي ذات ليلة كان والدك في الحديقة كما دته وانا في غرفتي اتضرع اليه تعالى ان يعوض على زوجي المسكين بما يخفف آلامه واذا يباب غرفتي قد فتحت ودخل عليّ اللعين هربرت في حالة سكرٍ عظيم فلم اتمالك ان صحت مستغيثة وكأنه خاف العاقبة فخرج وكان زوجي قد سمع صراخي فاسرع ليرى السبب فاستقبله هربرت بمسدسه واطلقت عليه فأصابته رصاصته عين والدك ونفذت من مؤخر رأسه فسقط

قتيلاً وقد سميت بعدها بمحاكمة هذا الشيطان اللعين فألقت الحكومة عليه القبض ولكنه استخدم غناه و بذر مقادير وافرة من الاصفر الرنان فأخلت الحكومة سبيله بحجة ان ما صنعه كان عن سكر لا يعاقب عليه . ولما رأيت ان العدل قد مات في هذه البلاد كضمت غيظي واخفيت المي الى ان يتيسر لي الانتقام وللحال بعث القصر وحديقته واويت الى هذا الكوخ الحثير الذي اراه خيراً من افضل القصور التي يتنعم بها من البشر اقوامٌ ليسوا الا من القتلة واللصوص وارسلتك الى حيث تلقيت دروسك . وانا اتفق من المال التحصل لي بغاية الاقتصاد والتدبير الى الآن وقد بقي لي منه خمس مئة ليرة لا غير تجدها في كيسها الجلدي تحت فراشي والآن يا ولدي الحبيب قد اطعمتك على كل شيء اما انا فساموت وسأتركك لتبني لك مستقبلاً بهذه الدراهم الباقية لك غير اني على فراش موتي هذا وفي دقائق الاخيرة استخلفك يا ولدي بتربة والدك المتول غدرًا و بدمه المهذور ظلمًا ان تقسم لي الآن امام السماء وفي دقيقة الموت الهائلة ان لا تقدم امرًا من امور حياتك على الانتقام من ذلك الملعون هر برت . لا . لا . اني لا انزل الى قبري بسلام ما لم اعرف يقينًا ان هر برت ديكنس لا ينزل الى قبره الا ملطخًا بدم كالم الذي سفكه من والدك . فهل تعذني يا ولدي وهل تقسم لي ان تقوم بهذا الامر . وكان ادغار مصغيًا الى كلمات والدته والحزن يقطع احشاءه وقد زاد فوقه حب الانتقام من الوغد الذي جر على والديه وعليه ذلك البلاء فأكسبت هذه العوامل وجهه هيئةً وحشية مخيفة فهض وهو يحاول اخفاء عبارته وقال بصوت ابح اشبه بمشرفة الموت

« انا ادغار فرسكيل اقسم في هذه الساعة الرهيبية التي ارى فيها والدتي تفارق العالم الحاضر الى ديار الابدية . اقسم بمقتل والدي السيئ البخت و بانفاس والدي المسكينة والشرف وبكل مقدس لدي ان اسعى من الآن في البحث عن هر برت ديكنس وان انتقم منه بقتله جزاء ما جنب يده على والدي وما جرّت اعماله عاينا من المصائب »

وعقب هذا القسم سكوت عميق زاده هولا لم يسمع في اثناة سوى تهيدات المائة الضعيفة وضربات قلب ادغار المتهيج ثم مدت الام يدها فامسكت بولدها وادنته منها فطوقت عنقه بذراعيها وقبلته تبسم وقالت الآن اموت مسرورة وسأخبر والدك ايضاً انك ستنتقم لنا ولك فاحفظ عهدك ولتباركك السماء . ثم تصاعدت انفاسها وهي شاخصة الى ابنها وهكذا دخلت باب الابدية ولم تبق في هذا العالم الا جثتها الباردة

وبقي ادغار بعد موت والدته مدة لا يهنا له عيش ولا تطيب له اقامة فكان يقصد الغابات المقفرة او شاطئ البحر ويجلس هناك الساعات الطوال في التفكير وتأمل الطبيعة وفي صدره من الافكار والمقاصد ما لا يعلمه الا الله . وكان ادغار ايام وجوده في المدرسة قد ألع براءة الروايات والتواريخ فتعلق بها ولما اصبح في حالة العزلة هذه خطر له ان يولف رواية ففعل ثم طبعها تحت اسم مستعار فلم تلبث ان انتشرت انتشاراً سريعاً فأثبها باخرى وهكذا حتى اشتهر اسم هذا الكاتب المجهول ورأى ادغار ان مكاسبه وافرة وان رأس ماله يتضاعف فانقطع الى هذا العمل وهو في اثناة يبحث عن محل وجود هربرت ديكنس للقيام بقسمه الذي لا بد من انفاذه والتقت التقادير يوماً ادغار في باريس فاستطاب سكنها ورأى فيها من ربات الجمال واختلاف الاحوال ما يساعده على كتابة رواية يهتم بتأليفها فاقام في البلدة اياماً . واتفق انه ذهب مرة الى احدى الحدائق العمومية فرأى على مقعد فيها فتاة جميلة الصورة رشيقة القوام فاعجب بمنظرها وجلس على مقعد بازاها وجعل يتفرس في هيئتها فيجد فيها من معاني الحسن ما يزيد شغفاً بحبها وشوقاً الى التعرف بها وكانت الفتاة تقرأ في كتاب عرفه انه من مؤلفات شكسبير الشاعر الانكليزي الشهير . وبينما هو يفكر في كيف يقنتح معها الحديث اذ جاءت فتاة اخرى فحيتها باسم أليس ثم تحاصرتا وسارتا معاً حتى غابتا عن عينيه . ف شعر ادغار ان قلبه يفارقه معها وعلى الخصوص عند سماعه اسمها وهو اسم والدته فجددت في صدره جراحاً اليمة . واكثر ادغار بعد ذلك من التردد الى الحديقة المذكورة فكان يرى في كل مساء

فاتنته هذه ولحظت هي منه الولوج والانشغاف واعجبها شابه فاجبته كما احبها ولم يخف ذلك على فطنة ادغار فما صدق ان رأى منها ميلاً إليه حتى رفع لها قبعة محبياً فاجابته بلطف فاقرب اليها وخاضا في بحار الحديث الذي يجر الى اوقيانوس الغرام . ولما ارادت الانصراف طلب مراقبتها فسمحت له فصار معها وهما في حديث شاغل قالت له في نهايته اعلم يا هذا اني احببتك كما تحبني فارجو منك ان تجربني صريحاً ما هي افكارك وما هو غرضك من هذا الحب فاني لم امل الى سواك قبلاً فاذا كنت تضمرباً صحيحاً يفضي الى سعادة العيش فعاهدني على ذلك والا فان كنت كما كثر فيان العصر تتسلق الشجرة وتخطر بحياتك لتقطف ثمرتها فاذا حصلت عليها مصصتها بين اسنانك وطرحتها الى الارض فدستها بقدميك فأعلمني من الآن كي اكون على بصيرة وفي يقيني انك شريف الاصل لا تخونني في الجواب .

قال ادغار رويدك ايها الملك الطاهر اني لست من جملة أولئك الفسدة الاراذل وانا مثلك لم احب قبلك فاذا كنت تقبليني قسيماً لمستقبلك فاني اعاهدك امام السماء التي فوق رؤوسنا اني اكون وفياً لك الى الموت . لكنني لا اکتّم عنك اني مقيد بنذر فلا يمكنني الاقتران قبل وفائه . قالت وما هو هذا النذر وهل يقتضي الوفاء به زمناً طويلاً . فجعل ادغار يسرد لها تاريخ اسرته كما مرّ وانه لا يتخلص من قسمه ولا يمكنه الزواج قبل الانتقام ممن كان سبياً في خراب اسرته . وكانا قد قربا من منزلها فقالت ومن هو هذا اللئيم الذي قضيت عليه بالموت . قال لا اعلم شيئاً عنه سوى ما ذكرت واخاله حيواناً في جسم انسان واسمه هربرت ديكنس . وما ذكر ادغار هذا الاسم حتى وقفت أليس امامه كلبوة قد فقدت شبلها وقالت ماذا تقول أتريد ان تقتل هربرت ديكنس والدي . فصعق ادغار لهذا الاتفاق ووقف كالمبهوت لا ينطق بينت شفة . فاقتربت أليس منه وقالت لا يا حبيبي ادغار لا تلتخ يدك الطاهرة بالدم . اني اتذكر الآن وافهم الحديث الذي كان يقصه عليّ والدي وما كنت افهمه حينئذ ولكنني اتمله الآن كما هو . فاعلم ان والدي منذ اربع عشرة سنة يكفر عن ذلك الذنب الذي دفعه اليه جهله الاعمى

واؤكد ان ضميره عذبه مدة هذه السنوات اكثر مما تتصور ان تعذب جسمه انت .
 وكثيراً ما سمعته يتأوه ويتحسر وهو لا يدري بأي وسيلة يكفر عن ذنبه وفي هذه
 المدة كلها لم يفتر عن الصلوات وفعل المبرات وتوزيع الحسنات فايك يا حبيبي ادغار
 ان تسيء اليه وهل يرد عليك قتله شيئاً من عزك الاول ووالديك ام بالاحرى
 يبعد عنك من اعترفت بحبك لها وتكون قد خسرت سعادة اخرى . فدع والديك
 مستريحين في قبرها وانس الماضي وانظر الى المستقبل فهو يشير اليك بالسرور .
 تأمل ملياً فيما اقوله لك وقابلي غداً في الحديقة بعد ان تقرأ على ما تنويه فاما ان
 نفتق في الحال واما ان تنسى ما مضى وتعتاض بي عما خسرت . وكان ادغار
 غارقاً في تأملاته يسمع وكأنه لا يفهم فولى ظهره مدفوعاً بقوة غير منظورة وسار
 الى بيته وهو كالتمثال المتحرك . وقبل ان تغمض جفنيه سنة الكرى طرقت بابه فنبأ
 مذعوراً واذا بشرطي ورجال الشحنة قد احدقوا به فاقتادوه الى السجن وبيناهم
 في الطريق علم منهم ان المستر هربرت ديكنس بينا كان راجعاً الى بيته في ذلك
 المساء اصابته رصاصة في عينه اليمنى اخترقت دماغه فسقط قتيلاً وان ابنة المقتول
 اتهمت ادغار . فقال ادغار وهل قُتل المستر هربرت حقيقة . قال الشرطي نعم قتل .
 فتبسم ادغار وقد رأى ان الاقدار تولت عنه حل هذا المشكل بينه وبين حبيبته
 وسار صامتاً . وفي الغد سأله قاضي التحقيق عن مقتل هربرت فانكر تمام الانكار
 وصرح بما كان يضره له ولكنه اصر على انه ليس هو القاتل . ولما لم ير القاضي
 الادلة الكافية لاثبات التهمة عليه امر بسجنه الى ان تبجلي الحقيقة . وفي اليوم الثاني
 ورد على ادغار رسالة من أليس تقول فيها « اني لا اعلم لوالدي عدواً سواك ومع شدة
 تعلقي بك فاني ارى ان الحقوق الوالدية اهم واولى بالمراعاة من حقوق الحب ولذلك
 فضلت اتهامك على اخفاء امرك ولكنني لا ازال احبك ولا اعلم السبب . وقد بلغني من
 تقريرك ما جعلني ارتاب جداً في الامر فاستخلفك يا ادغار ان تظهر الحقيقة على
 وجهها فاذا كنت انت القاتل فلا ينبغي ان تكون جباناً فاعترف بما فعلت وساعدني
 على سلوك اذا كنت بريئاً فبرهن على ذلك فيطلق سراحك وتعال الى من لا

نصير لها في هذا العالم الواسع اليتيمة المسكينة

« أليس »

وتابعت المحكمة التحقيق فلم تقف على شيء جديد وقد كانت الأدلة كلها تؤيد التهمة على ادغار ولم يكن ما ينفىها سوى انكاره فقط ومضى عليه في سجنه اسبوعان ذاق فيهما امر البلاء الى ان اتته يوماً رسالة اخرى غفل من التوقيع فيها ما صورته « ايها العزيز الذي لا اعرفه — للدهر في تصاريفه غرائب . اني كنت اترصد خصماً لي منذ خمسة عشر يوماً للفتك به الى ان مر امامي شيخ ظننته عدوي فاطلقت عينه غدارتي فاصبته فمات ولكن لسوء الحظ تبين لي في اليوم الثاني ان القاتل رجل غير الذي اطلبه فشق علي ذلك جداً وخشيت عاقبة القضاء ولكنني ما عثمت ان علمت بما كان من وقوع التهمة عليك ووجدت ان القدر شاء ان يعفني من قبح السمعة وعقاب الشنق فسألتك الى تحملها عوضاً عني . وبما انه قد قضي الامر ولا يسهل علي ان اسعى بنفسي الى الوقوع فيما قدّر لي النجاة منه فغاية ما استطعيه ان اظهر لك شديد اسفي ولكي لا اترك خدمتك هذه بدون مكافأة فقد وضعت لحسابك في البنك مبلغ خمسة آلاف ليرة يمكنك ان توصي بها لاهلك اذا كان فيهم من يضره موتك وفي الختام تقبل شكري لك وترحمي على شبابك »

فلما قرأ ادغار هذه الرسالة استغرب الامر جداً ثم طلب المثل امام قاضي التحقيق واطلعه على الرسالة فانقلب محور العمل وايقن القضاة ببراءة ادغار فاطلقوا سراحه وما زال رجال الشحنة السرية يجردون في البحث والتنقيب على ما هو مشهور من اعمالهم الغريبة حتى ادركوا كاتب الرسالة واجبروه فاقر انه هو القاتل عن غير قصدٍ لانه كان يريد الانتقام من رجل آخر كانت بينهما عداوة شخصية فاستله القضاء

اما ادغار فعاد الى أليس وكان سرورها ببراءة حبيها يخفف عنها لوعتها لمقتل والدها وبعد ان اتمت ايام الحداد اقترنت بادغار وعاشا عيشة سعيدة لا يشوبها كدر سوى تذكر والديهما وشقاء ايامهما الماضية